

جهود السيوطي في الدفاع عن السنة والرد على منكريها: دراسة تحليلية في كتاب مفتاح

الجنة

AL-SUYŪṬĪ'S EFFORTS IN DEFENDING THE SUNNAH AND REFUTING ITS DENIERS: AN ANALYTICAL STUDY IN THE BOOK MIFTĀḤ AL-JANNAH

Nur Baiti Hidayah^a, Muhammad Ilyas^b, Muhid^c, Rabiati^d, Nabilah Nur Hasanah^e

^aSekolah Tinggi Ilmu Islam Imam Syafi'i Jember, Indonesia; Email: nurbaitihidayah@gmail.com

^bSekolah Tinggi Ilmu Islam Imam Syafi'i Jember, Indonesia; Email: muhammadilyasabdurrohim@gmail.com

^cUniversitas Islam Negeri Sunan Ampel Surabaya, Indonesia; Email: muhid@uinsby.ac.id

^dSekolah Tinggi Ilmu Islam Imam Syafi'i Jember, Indonesia; Email: rabiati1104@gmail.com

^eSekolah Tinggi Ilmu Islam Imam Syafi'i Jember, Indonesia; Email: byzbylhlb@gmail.com

Article Info

Received: 23 April 2026

Revised: 13 Mei 2026

Accepted: 20 Mei 2026

Published: 25 Mei 2026

الكلمات الدالة: السيوطي،

الدفاع عن السنة، إنكار السنة،

مفتاح الجنة، دراسة تحليلية.

Keywords:

al-Suyūṭī, Sunnah Defens, Hadith Rejection, Miftāḥ al-Janna, Analytical Study.

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى التحليل والكشف عما قام به الحافظ السيوطي رحمه الله في مجال الدفاع عن السنة النبوية ودحض شبه منكريها من خلال كتابه "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة". تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة بالدراسة المكتبية لجمع المادة العلمية وتنسيقها. وتكمن أهمية البحث في تقديم ردّ علمي رصين على التيارات التي تشكك في حجية السنة، كالفُرّانيين والمستشرقين، مبيناً أن حجج السيوطي لا تزال تمتلك الحيوية والقدرة على مواجهة الطروحات المعاصرة. وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، أهمها: أن السيوطي قد نجح في بناء استراتيجية دفاعية متكاملة عن السنة النبوية والرد على منكريها استندت إلى النص القرآني، والأثر النبوي، وأقوال الأئمة، مؤكداً أن إنكار السنة ليس مجرد رأي فقهي، بل هو مخالفة لسبيل المؤمنين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان - وقد أمر الله ﷺ باتباع سبيلهم وجعل ذلك سبيلاً للنجاة في الدنيا والآخرة-، وخروج عن مقتضيات طاعة الرسول ﷺ التي هي من لوازم طاعة الله ﷻ.

Abstract

This study aims to analyze and reveal the efforts of Al-Hāfiẓ al-Suyūṭī in defending the Prophetic Sunnah and refuting the misconceptions of its deniers through his book, Miftāḥ al-Jannaḥ fī al-Iḥtijāj bi al-Sunnah. This research employs a descriptive-analytical method, utilizing library research to collect and organize the scientific material. The significance of this study lies in

providing a robust scientific response to movements that question the authority of the Sunnah, such as the Quraniyyun and Orientalists, demonstrating that Al-Suyūṭī's arguments remain vital and capable of addressing contemporary discourses. The study concludes that Al-Suyūṭī successfully constructed a comprehensive defensive strategy for the Prophetic Sunnah and a refutation against its deniers, based on Quranic texts, Prophetic traditions, and the consensus of the Imams. He emphasized that the denial of the Sunnah is not merely a jurisprudential opinion, but rather a contradiction to the "Path of the Believers"—the Companions, the Successors (Tabi'un), and those who followed them in righteousness. Furthermore, Allah ﷻ has commanded following their path and made it the way to salvation in this world and the hereafter. He also stressed that rejecting the Sunnah is a deviation from the requirements of obeying the Messenger ﷺ, which is an inseparable part of obeying Allah ﷻ.

How to cite:

Nur Baiti Hidayah, Muhammad Ilyas, Muhid, Rabiati, Nabilah Nur Hasanah, "جهود السيوطي في الدفاع عن السنة والرد على"، منكريها: دراسة تحليلية في كتاب مفتاح الجنة AL-QIBLAH: Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab, Vol. 5, No. 3 (2026): 282-301. doi: 10.36701/qiblah.v5i3.3025.



This work is licensed under a Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)

المقدمة

لقد لاقت السنة النبوية منذ العصور المتقدمة هجوما ومؤامرة من أعدائها، وقد ظهرت الشيعة الروافض، ثم الخوارج، ثم المعتزلة ومن نحى نحوها، التي تمثل البذور الأولى في إنكار السنة إما جزئيا أم كليا. ثم ظهرت في العصور المتأخرة العديد من الفرق التي تتجه إلى إنكار السنة وحجيتها، وكانت من أبرزها فرقة تسمى "القرآنيين" التي تزعم أن القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع الإسلامي، فبذلك قد طرحت السنة النبوية بالكلية جملة وتفصيلا. ثم تليها فرقة تسمى "العقلانيين" التي تقدم العقل على النص، وتزن السنة بالعقل، فما وافقته قُبِلَ، وما خالفته رُذِّ. وكثير من أصحاب هذه الفرق متأثرون بالغرب ودراساتهم واكتشافاتهم وحضاراتهم، معجبون ومفتنون بها، وذلك لأنهم رأوا أن تقدم الغرب وتطوره ما هو إلا بسبب انسلاخه وانعزاله عن الدين، وأن سبب تأخر المسلمين وتخلفهم هو تمسكهم بالدين والتزامهم بشعائره.¹ فقاموا بالتشكيك في الدين، وكان جل تركيزهم في السنة النبوية وذلك لكونهم يعلمون جيدا بأن السنة النبوية هي أحد المصدرين الأساسيين للشريعة الإسلامية من جهة، ومن جهة أنها صلة وثيقة بين الأمة الإسلامية وبين نبيها ﷺ، فهدم السنة هدم لأحد ركني الإسلام.

¹ عبد الماجد الغوري، إنكار السنة تاريخه وفرقه ودوافعه، 1 الطبعة: (مليزيا: معهد دراسات الحديث الشريف-الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلاخجور، 2017، ص 75-82.

وقد قام علماء الإسلام قديما وحديثا بتفنيد هذه الأباطيل والشبهات، ومن تحمل عبأه من المتأخرين الحافظ جلال الدين السيوطي -رحمه الله- من خلال مؤلفاته الكثيرة في الحديث وعلومه، والتفسير وعلومه، والفقه وأصوله، وقد أثبت فيها حجية السنة النبوية واعتمد عليها كثيرا في بيان الأحكام الشرعية. وقد حظيت مسألة حجية السنة النبوية والرد على من أنكروها من نفس الحافظ السيوطي مكانة رفيعة واهتماما كبيرا، فخصصها بالتأليف، وسمى ما ألفه فيها: "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة"، فأفاد فيه وأجاد، حيث فصل الكلام في وجوب الاحتجاج بالسنة النبوية وتحريم إنكارها وجحدها.

تعد هذه الدراسة المتواضعة من الإسهامات النافعة -بإذن الله ﷻ- في مجال السنة النبوية، وذلك بإثبات حجيتها ودحض حجج من أنكروها من خلال دراسة تحليلية لكتاب نافع ألفه الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى المسمى "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة"، وتسعى إلى الإجابة عن التساؤلات التالية: ما مكانة السنة النبوية في دين الإسلام؟ وما دور الحافظ السيوطي في الذب عنها والرد على منكريها؟ وما الأساليب التي اعتمدها في ذلك من خلال كتابه المذكور؟ وما النقاط المهمة والبذور المؤصلة التي سطرها في هذا الشأن؟

وتهدف الدراسة إلى إبراز مكانة السنة النبوية في الشريعة الإسلامية، والكشف عن جهود الحافظ السيوطي في الدفاع عنها، وبيان الأساليب التي اعتمدها في الرد على منكريها، وقد سلك الباحث في تحقيق هذه الأهداف المنهج الوصفي التحليلي من خلال استقراء الكتاب المذكور وتحليل مضامينه.

لقد اطلع الباحث على العديد من الدراسات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع، منها ما يلي:

أولاً: الدراسة بعنوان "دفاع عن صحيح البخاري دفاع عن السنة المشرفة"، للباحث حميد قوفي، المنشور في مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 8، العدد 1، سنة 2023. تحدث فيه الباحث عن الدفاع عن السنة المشرفة بالدفاع عن صحيح البخاري، وذلك بتبرئة البخاري مما رمي به من الكذب والاختلاق للأحاديث، وتحصين العامة من تلك الشبهات المثارة حول صحيح البخاري.²

ثانياً: الدراسة بعنوان "الدفاع عن السنة في ظل التيارات الفكرية المعاصرة"، للباحث طارق عطية الدقيج، المنشور في مجلة العلوم الإنسانية التطبيقية، العدد 1، سنة 2016، يتحدث فيه الباحث عن كيفية الدفاع عن السنة والرد على أعداء السنة في هذا العصر سواء كانوا مسلمين أم غيرهم.³

² حميد قوفي، "دفاع عن صحيح البخاري دفاع عن السنة المشرفة"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة 8، عدد 1 (2023).

³ طارق عطية الدقيج، "الدفاع عن السنة في ظل التيارات الفكرية المعاصرة"، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، عدد 1 (2016).

ثالثا: الدراسة بعنوان: "الأدلة العقلية وأهميتها في الدفاع عن السنة النبوية مدرسة الكوفة أنموذجا"، للباحث عباسي سالم، وهي مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير في الحديث وعلومه بقسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة أحمد دراية (أدرار-الجزائر)، يتحدث فيه الباحث عن دور الأدلة العقلية والمدرسة الكوفية في الدفاع عن السنة النبوية.⁴

رابعا: الدراسة بعنوان "الشبهات المثارة حول السنة النبوية (القرآنيون أنموذجا)"، للباحث هاشم إسماعيل إبراهيم، المنشور في مجلة الباحث للعلوم الإسلامية، المجلد 1، العدد 1، سنة 2021، يتحدث فيه الباحث عن أبرز فرق تنكر حجية السنة المسماة "القرآنيون"، فحاول فيه الرد على شبهاتهم التي أثاروها حول السنة النبوية.⁵

خامسا: الدراسة بعنوان "السنة (دراسة مذهب إنكار السنة)"، للباحث ريلت نور إيدي، المنشور في مجلة أساس (Asas)، المجلد 6، العدد 2، سنة 2014، يتحدث فيه الباحث عن حجج مذهب إنكار السنة العقلية والعقلية والرد عليها.⁶

يظهر من خلال الدراسات السابقة أن هذه الدراسة التي أجراها الباحث لم تسبق إليها من قبل، فمن أهم ما تميزت به هذه الدراسة عن سابقتها أنها عبارة عن محاولة لكشف جهود الحافظ جلال الدين السيوطي في الدفاع عن السنة والرد على منكريها من خلاله دراسة تحليلية لكتابه "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة"، وذكر أبرز أساليبه في ذلك، بينما كانت الدراسات السابقة لا تتناول هذا الجانب، وإنما تناولت جوانب أخرى كما سبق التوضيح على ذلك بعد ذكر كل دراسة من الدراسات السابقة.

منهج البحث

هذا البحث من الدراسات المكتبية، فيسعى الباحث في جمع البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة من مصادر أصلية أو ثنائية كالكتب القديمة والمعاصرة والمجلات الدورية المحكمة، وأما المصدر الرئيسي في جمع البيانات هو كتاب "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة" للحافظ جلال الدين السيوطي (ت. 911هـ)،

⁴ عباسي سالم، الأدلة العقلية وأهميتها في الدفاع عن السنة النبوية مدرسة الكوفة أنموذجا (الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة أحمد دراية (أدرار-الجزائر)، 2022)، ص 75-82.

⁵ هاشم إسماعيل إبراهيم، "الشبهات المثارة حول السنة النبوية (القرآنيون أنموذجا)"، مجلة الباحث للعلوم الإسلامية 1، عدد 1 (2021).

⁶ Relit Nur Edi, "AS-SUNNAH (HADITS) (Suatu Kajian Aliran Ingkar Sunnah)", *Asas (Jurnal Ekonomi Syari'ah)* 6, No. 2 (2014).

المطبوع بباكستان: دار الكتاب والسنة، تحقيق الدكتور سراج الإسلام حنيف، الطبعة الثالثة: 2016م. ويستخدم الباحث المنهج الكيفي، والمنهج الكيفي هو المنهج القائم على ملاحظة البيانات وتحليلها ووصفها.⁷ فيسعى الباحث في استقراء تلك الكتب والمصادر المكتبية وملاحظتها حتى يستنتج منها الحاصلة العلمية، ثم ربطها بالجانب النظري. وللوصول إلى النتيجة المرجوة قام الباحث بالوصف وتحليل المحتوى الذين هما من مميزات البحث الكيفي؛ وذلك بدراسة البيانات التي جمعها من المصادر المكتبية ووصفها للوصول إلى جهود الحافظ جلال الدين السيوطي في الدفاع عن السنة والرد على منكريها، ثم يحلل هذه البيانات تحليلاً مناسباً للموضوع، ليصل إلى النتيجة النهائية.

البحث

1. الترجمة المختصرة للحافظ جلال الدين السيوطي - رحمه الله -.

أولاً: نسبه ومولده ونشأته

هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، المكنى أبا الفضل، ولد ليلة الأحد في أوائل رجب سنة 849هـ. نشأ يتيماً إذ توفي أبوه وهو في السادسة من عمره، غير أن النشأة اليتيمة لم تحل دون تفوقه العلمي المبكر، فقد حفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ الثامنة، وحفظ معه جملةً من المتون العلمية كمنهاج الطالبين ومنهاج الوصول وألفية ابن مالك. عاش في ظل دولة المماليك الجراكسة (784-932هـ)، وهي حقبة اتسمت بالنشاط العلمي الواسع، إذ أولى السلاطين وولاة الأمور اهتماماً بالغاً بالعلماء ووظفهم للتعليم والتأليف، فكان السيوطي من أبرز المنتفعين بهذه البيئة العلمية، إذ وجّه طاقته كلها نحو التأليف والتحقيق والتهديب.⁸

ثانياً: رحلاته وشيوخه وتلاميذه

سلك الحافظ السيوطي مسلك العلماء الرحّالين في طلب العلم ولقاء الشيوخ، فرحل إلى الحجاز سنة 869هـ وأفرد لهذه الرحلة كتاباً سَمَّاهُ "النحلة الزكية في الرحلة المكية"،⁹ ثم رحل إلى دمياط والإسكندرية سنة 870هـ وجمع فوائدها في كتاب "الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط"،¹⁰ فضلاً عن رحلات إلى غيرها من البلاد.

⁷ Andi Ibrahim dkk., Metodologi Penelitian (Makassar: Gunadarma Ilmu, 2018), Hal. 21.

⁸ همام حسين، "جلال الدين السيوطي وشرحه لألفية ابن مالك"، مجلة كلية الآداب بقنا 53، عدد 1 (2021).

⁹ عبد الرحمن السيوطي، التحدث بنعمة الله، الطبعة: 1 (القاهرة: المطبعة العربية الحديثة، 1973)، ص 79.

¹⁰ السيوطي، التحدث بنعمة الله، الطبعة: 1 (القاهرة: المطبعة العربية الحديثة، 1973)، ص 79.

وبلغ عدد شيوخه ستمائة شيخ، وقد أفرد لهم مؤلفات خاصة، أبرزها "معجم الشيوخ الكبير" المسمى "حاطب ليل وجارف سيل" ومختصره "المنتقى". ومن أبرز شيوخه: شيخ الإسلام علم الدين البلقيني (ت. 868هـ)، وشرف الدين المناوي (ت. 872هـ)، ومحبي الدين الكافيجي (ت. 879هـ)، وغيرهم من أعلام عصره في مختلف الفنون¹¹.

وعلى الرغم من أنه أُجيز بالتدريس ولم يتجاوز السابعة عشرة من عمره،¹² فقد أقبل عليه طلاب العلم من كل حدب وصوب. ومن أبرز تلاميذه: عمر بن قاسم الأنصاري المقرئ، وشمس الدين العلقمي الشافعي (ت. 963هـ)، وسليمان الحضري الشافعي (ت. 961هـ)، وغيرهم، وقد بلغ عدد تلاميذه الذين رووا عنه ثمانية وأربعين نفساً، تميزوا بمكانة علمية رفيعة في الحديث والفقه والقراءات.¹³

ثالثاً: مكانته العلمية

بلغ الحافظ السيوطي مرتبةً علمية نادرة جمعت بين سعة الحفظ وغزارة التأليف، فقد أخبر عن نفسه أنه حفظ مائتي ألف حديث،¹⁴ ووصفه تلميذه الداودي بأنه أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ورجاله وغريبه وإسناده ومتمنه.¹⁵ وأثنى عليه الشوكاني بقوله: "برز في جميع الفنون وفاق الأقران واشتهر ذكره وبعد صيته".¹⁶

وتبحر في سبعة علوم رئيسية هي: التفسير، والفقه، والحديث، والمعاني، والنحو، والبديع، والبيان، علاوة على تمكنه من أصول الفقه والتصريف والفرائض والطب. وقد وصفه ابن عماد بأنه "المسند المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة"، وأشار إلى أن مؤلفاته ناف عدددها على خمسمائة مؤلف اشتهرت في حياته شرقاً وغرباً.¹⁷

¹¹ حسين، "جلال الدين السيوطي وشرحه لألفية ابن مالك".

¹² سميرة تفاحي، "أثر الإمام السيوطي في علوم الحديث تدريب الراوي أمودجا"، قسم أصول الدين-جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي، 2016.

¹³ تفاحي، "أثر الإمام السيوطي في علوم الحديث تدريب الراوي أمودجا".

¹⁴ عبد الحي ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة: 1، المجلد: 10 (دمشق-بيروت: دار ابن كثير، 1986)، ص 76.

¹⁵ عبد الحي ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة: 1، المجلد: 10 (دمشق-بيروت: دار ابن كثير، 1986)، ص 76.

¹⁶ محمد الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المجلد: 1 (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص 227.

¹⁷ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المجلد: 10، ص 76.

رابعاً: مؤلفاته

تميّز الحافظ السيوطي بكثرة مؤلفاته التي بلغت خمسمائة مصنف في مختلف الفنون؛ كالتفسير وعلومه (مثل الإتقان والدر المنثور)، والحديث وعلومه (مثل تدريب الراوي وجمع الجوامع)، والفقه (مثل الأشباه والنظائر والكافي)، والعربية (مثل التذكرة في العربية)، والتاريخ والأدب (مثل تاريخ الخلفاء وطبقات الحفاظ).¹⁸ وقد ساعده على هذا الإنتاج الغزير اعتزاله الناس والتدريس بعد سن الأربعين وتفرغه التام للتأليف - كما سيأتي -، مما أدى إلى شهرة مصنفاته في حياته وحتى يومنا هذا في شتى البلاد، وهو ما يُرجى أن يكون دليلاً على إخلاصه.

خامساً: وفاته

لما بلغ الحافظ السيوطي أربعين سنة أعرض عن الدنيا وأهلها، وتفرغ للعبادة وتحرير مؤلفاته، وأقام في روضة المقياس ملازماً لها حتى وافته المنية بعد أذان الفجر يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة 911هـ،¹⁹ عن عمر يناهز اثنين وستين عاماً، تاركاً إرثاً علمياً نفيساً لا يزال الناس يستفيدون منه إلى يومنا هذا، جزاه الله عن الأمة الإسلامية خير الجزاء.

2. التعريف المختصر بكتاب "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة".

يعد كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة من الرسائل المختصرة التي صنّفها الحافظ جلال الدين السيوطي -رحمه الله- في تقرير حجية السنة والرد على من أنكروها، وقد صرح المؤلف بذلك في أوائل كتابه، حيث بيّن أن الدافع إلى تأليفه هو ظهور من يُضعف الاحتجاج بالسنة أو يطعن في استقلالها بالتشريع، فرأى من الواجب بيان الحق في هذه المسألة. ومن ثمّ فإن الكتاب لا يخرج عن كونه رسالةً حجاجيةً موجهة، غلب عليها قصد التقرير والرد، لا مجرد الجمع والتدوين. وقد سلك السيوطي في هذا الكتاب مسلكاً قائماً على إيراد النصوص؛ فجمع جملةً من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، وأقوال الأئمة، مما يدلّ على حجية السنة ووجوب العمل بها، غير أنه لم يعمد إلى ترتيب ذلك في أبواب أو فصول، بل ساق المادة العلمية سرداً متتابعاً، وهو أسلوب يُلاحظ في عدد من رسائله المختصرة، حيث يُقدّم الحجة في صورتها الإجمالية دون تفرّيع أو تبويب دقيق. وهذا الأسلوب -مع

¹⁸ السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المجلد: 1، ص 23.

¹⁹ الشوكاني، البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، المجلد: 1، ص 335.

ما فيه من قوة في كثرة الشواهد— قد يُؤخذ عليه من جهة غياب البناء المنهجي الواضح الذي يُيسر تتبع المسائل وتقسيمها.

ومع ذلك، فإن النظر في مضمون الكتاب يتيح تقسيمه إلى جملة من المحاور الرئيسة، من أبرزها: بيان حكم إنكار الاحتجاج بالسنة، والإشارة إلى نشأة هذا الاتجاه، وبيان مكانة السنة في التشريع الإسلامي وعلاقتها بالقرآن الكريم، ثم وهو المحور الأساس: إثبات حجية السنة والرد على شبهات منكريها من خلال تكثير الأدلة النقلية. ويظهر من خلال ذلك أن الكتاب موجّه بالدرجة الأولى إلى تثبيت أصل الاحتجاج، لا إلى مناقشة تفاصيل الخلاف أو تحرير محل النزاع على نحو أصولي دقيق. وأما عن تاريخ تأليفه، فلا يُعرف له تاريخ محدد فيما وقفنا عليه، غير أن طبيعته المختصرة وأسلوبه القائم على الجمع والتركيز يقربانه من رسائل السيوطي المتأخرة. وقد طُبِعَ الكتاب في عدد من الطبعات، من أقدمها الطبعة المنيرية بمصر سنة 1347هـ، ثم طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة 1409هـ/1989م، وطبعة دار الكتب العلمية ببيروت سنة 1987م بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، إضافة إلى طبعة دار الكتاب والسنة بباكستان سنة 2016م بتحقيق وتعليق د. سراج الإسلام حنيف، وهي الطبعة المعتمدة في هذا البحث.

وقد حظي الكتاب بعناية علمية من قبل عدد من المحققين، غير أنّ هذه العناية لم تقتصر على مجرد إخراج النص وضبطه، بل تجاوزت ذلك إلى تقديم خدمة علمية معتبرة. ويظهر ذلك بوضوح في تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، وكذلك تحقيق د. سراج الإسلام حنيف، حيث اشتملت تعليقاتهما على جوانب متعددة؛ من أبرزها تخرّيج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب، والعناية ببيان درجتها من حيث الصحة والضعف، إضافة إلى شرح الألفاظ الغريبة التي قد يشكل فهمها على القارئ، مع تقديم شروح موجزة لبعض المواضع التي تحتاج إلى بيان، خصوصاً فيما يتعلق بأقوال الأئمة أو السياقات الجدلية التي أوردتها السيوطي. كما يظهر في بعض تعليقاتهما محاولة ربط النصوص بمصادرها الأصلية، والتنبيه على الفروق في الروايات أو الألفاظ عند الحاجة. ومع ذلك، فإن هذه الجهود—على أهميتها—بقيت في إطار الخدمة التوضيحية للنص، ولم تتحول إلى دراسة تحليلية لمنهج السيوطي في الاحتجاج أو لبنية خطابه الحجاجي في هذا الكتاب.

3. الدفاع عن السنة النبوية والرد على منكريها من خلال كتاب "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة" للسيوطي.

أ. مكانة السنة النبوية.

السنة النبوية هي منهج وطريقة سلكها النبي ﷺ في حياته، سواء في العبادات أو المعاملات، فكل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية هي من السنة النبوية،²⁰ وهي من هذه الناحية مرادفة للحديث.²¹ والسنة النبوية لها مكانة عظيمة في ديننا، فهي أحد المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامي، والحافظ السيوطي قد أورد أدلة كثيرة على هذه المسألة، وهي باختصار كالاتي:

من معالم عظمة مكانة السنة أن القرآن الكريم بحاجة إلى السنة، وذلك أن السنة أقيمت مقام البيان عن الله ﷻ، كما قال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾،²² وإلى ذلك المعنى يقول المححول: ﴿الْقُرْآنُ أَحْوَجُ إِلَى السَّنَةِ مِنَ السَّنَةِ إِلَى الْقُرْآنِ﴾،²³ ويقول يحيى بن أبي كثير: "السنة قاضية على الكتاب وليست الكتاب قاضيا على السنة"،²⁴ وبين الحافظ السيوطي أن معنى احتياج القرآن إلى السنة وقضائها عليه هو كونها مبينة له ومفصلة لمجملاته وشرح له، وشأن الشرح أن يكون أبين وأوضح وأبسط من المشروع.²⁵ فالحاصل أن السنة النبوية هي كالمؤكد والمعضد والمساعد للقرآن وليست منافرة له، وكلاهما يحتاج إلى الآخر، ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر.

وفي موضع آخر في كتابه أوضح السيوطي أن السنة تأتي مكانته تجاه القرآن من ثلاثة أوجه: الأول: أن السنة مؤكدة للقرآن، يعني أن النبي ﷺ سن سنة يمثل ما أنزل الله في القرآن. والثاني: أنها مبينة ومفصلة للقرآن، يعني أن النبي ﷺ بين عن الله تعالى ما أجمل في القرآن، فأوضح كيف فرضها عاما أو خاصا، وكيف طريقة الإتيان بها. والثالث: أنها تأتي بسنة لم ينص فيها القرآن، يعني ما سنه رسول الله ﷺ مما ليس فيه نص كتاب.²⁶ وهذه الأوجه الثلاثة تزيدنا وضوحا في عظمة مكانة السنة النبوية في ديننا الحنيف، إذ أن المسلم لا يمكنه الإتيان بالشرائع والعبادات على الوجه الصحيح إلا إذا اتبع فيها سنة نبيه ﷺ.

ب. إثبات حجية السنة النبوية.

²⁰ محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2004)، ص 17.

²¹ مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الطبعة: 1 (المكتب الإسلامي - دار الوراق للنشر والتوزيع، 2000)، ص 91.

²² القرآن الكريم، النحل: 44.

²³ سعيد ابن منصور، سنن سعيد بن منصور، الطبعة: 1 (الرياض: دار الألوكة للنشر، 2012)، ص 8.

²⁴ أبو بكر البيهقي، المدخل إلى علم السنن، الطبعة: 1 (القاهرة: دار اليسر للنشر والتوزيع، 2017)، ص 8.

²⁵ السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 8.

²⁶ السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 8.

الكلام عن حجية السنة النبوية فرع عن الكلام السابق في مكانة السنة النبوية، بحيث إذا علمنا أن السنة النبوية على تلك المكانة العظيمة في ديننا لزمنا أن تكون حجة يحتج بها، وقد أطال السيوطي -رحمه الله- النفس جدا في هذا الموضوع، وحاول أن يثبت حجية السنة من جوانب كثيرة دفاعا عنها من شبه منكريها. ويحاول الباحث ذكر بعض هذه الجوانب على سبيل التفصيل المختصر - بإذن الله ﷻ -.

الأول: وجوب طاعة الرسول ﷺ والعمل بسنته.

حاول السيوطي في هذا الجانب إيراد الأدلة الكثيرة من القرآن والسنة، ثم أتبعها بأقوال الأئمة الدالة على وجوب طاعة الرسول ﷺ، ومن ذلك - سوى ما ذكر سابقا- أن الله ﷻ قرن بين الإيمان بالرسول ﷺ بالإيمان به ﷻ، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.²⁷ قال الشافعي تعقيبا لهذه الآية: "ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله"،²⁸ ويؤيد ذلك قوله ﷻ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.²⁹ وقد أخبر الله ﷻ أنه ﷻ أوتي القرآن والحكمة ليعلم الناس أحكام دينهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾،³⁰ وأكد الإمام الشافعي بأن معنى الحكمة هنا السنة النبوية،³¹ والحاصل أن الله ﷻ أوجب على الناس طاعة الرسول لكونه أوتي كتابا وسنة من عند الله ولكونه قد جعله الله محل الاتباع، الذي لا يتم إيمان المؤمن إلا باتباعه، فمن هذا الجانب كانت السنة النبوية حجة قطعا.

الثاني: التحذير من مخالفة أمر الرسول ﷺ

أورد السيوطي هذا الجانب لزيادة التأكيد على الجانب الأول وهو وجوب طاعة الرسول ﷺ، فلقد حذر ربنا ﷻ من مخالفة أمر الرسول ﷺ وعدم اتباع سنته، وتوعد فاعلها بالفتنة والعذاب الأليم، فقال ﷻ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آدَاءً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

²⁷القرآن الكريم، النور: 62.

²⁸السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 7.

²⁹القرآن الكريم، الحشر: 7.

³⁰القرآن الكريم، آل عمران: 164.

³¹محمد الشافعي، الرسالة (مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاد، 1938)، ص 7.

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^{32,33} في هذه الآية إعلام من الله ﷺ بأن دعوة الرسول ﷺ تجب طاعته وامتثاله، وليست هي كشأن دعوة بعضهم بعضا، ولهذا حذرهم من مخالفة دعوة الرسول ﷺ وأمره، وتوعدهم بالوعيد الشديد إن فعلوا ذلك.

الثالث: وجوب التمسك بالكتاب والسنة واجتناب البدع والمحدثات.

قد أمر الله ﷻ عباده بالتمسك بالكتاب والسنة ومجانبة المحدثات في الدين، فالقرآن والسنة بما فيهما الشريعة الإسلامية قد وصفت بالكمال في الأمور الدينية، والشيء الكامل لا تحتاج إلى زيادة، ولهذا لم يسع للمسلم إلا الرجوع التام إلى ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة وبخاصة الأمور التعبديّة، ولا يتجاوزهما بشيء من المحدثات. والبدعة عرفها الشاطبي بأنها "طريقة في الدين مختزعة (أي ليس لها أصل في الشريعة) تضاهي الشرعية يُقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية وهي التبعّد لله أو المبالغة فيه.³⁴ وفي هذا المعنى يقول نبينا ﷺ "إِنِّي قَدْ خَلَفْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا أَبَدًا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضُ"،³⁵ ويقول ﷺ أيضا في حديث طويل، وفيه: "فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا: وَعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ: وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ".³⁶ هذا الجانب أورده السيوطي لبيان أن الأمر بالتمسك بالقرآن والسنة دالٌّ على كون السنة حجة كما أن القرآن حجة، لأنهما تأتي من مشكاة واحدة، فلا يجوز العدول عما جاءت به شريعة نبينا ﷺ إلى شريعة أخرى محدثة.

الثالث: وجوب تعظيم السنة النبوية.

تعظيم السنة النبوية أمر ضروري يجب أن يترسخ في قلب كل مؤمن، فهو واجب شرعا وعقلا، أما كونه مطلوبًا عقلا فلأن السنة النبوية أحد مصادر التشريع الإسلامي الذي أمرنا الله بطاعته وسلوك سبيلها - كما تقرر سابقا-، وقد عظم الله ﷻ نبينا ﷺ في آيات كثيرة، وقد سبقت الإشارة إلى كثير منها، منها أن الله قرن طاعته بطاعته - فالعقل السليم يأبى إلا أن يعظم سنة نبيه ﷺ، لأنه لا يتأتى تعظيم الله ﷻ إلا بتعظيم سنة نبيه ﷺ. وأما كونه مطلوبًا شرعا فقد تضافرت الأدلة على ذلك من قرآن أو سنة، وكذلك

³² القرآن الكريم، النور: 63.

³³ السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 19.

³⁴ إبراهيم الشاطبي، الاعتصام، 1 ط، المجلد: 1 (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 2008)..

³⁵ البيهقي، المدخل إلى علم السنن، ص 481.

³⁶ أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، المجلد: 1 (سوريا: دار الرسالة العالمية، 2009)، ص 339.

أقوال أهل العلم - وقد ذكر بعضها في الفقرات السابقة-، منها ما أخرجه البيهقي والحاكم عن هشام بن جبير قال: "كان طاووس يصلي ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس: اتركهما. فقال: ما أدعهما. فقال ابن عباس: فإنه قد نهى النبي ﷺ عن صلاة بعد العصر ولا أدري أتعذب أم تؤجر؟ لأن الله قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾^{38,37}، فوجب على المؤمن تعظيم أمر الله وسنة رسوله ﷺ ولا ينبغي أن تكون أمامه خيرة أخرى.

وكان الأئمة من سلفنا الصالح أشداء على من عارض السنة النبوية، واتخذوا معه موقفا حازما، ومن ذلك ما رواه الشافعي: أخبرنا أن أبا سعيد الخدري لقي رجلا فأخبره عن رسول الله ﷺ شيئا فخالفه فقال أبو سعيد: "والله لا آواني وإياك سقف بيت أبدا".³⁹ وأخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل. فقال ابن لعبد الله بن عمر: لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا. قال: فزبره ابن عمر، قال: "أقول قال رسول الله ﷺ، وتقول: لا ندعهن".⁴⁰ وأخرج البخاري عن عبد الله بن بريدة، عن عبد الله بن مغفل: أنه رأى رجلا يخذف، فقال له: لا تخذف؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، أو كان يكره الخذف، وقال: "إنه لا يصاد به صيد، ولا ينكى به عدو، ولكنها قد تكسر السن وتفقد العين"، ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف، لا أكلمك كذا وكذا".⁴¹ فانظر كيف كان هؤلاء الأجلاء من الصحابة غضبوا غضبا شديدا ممن عارض السنة برأيه، فالواجب على كل مسلم وبالخصوص المشتغلين بالعلوم الشرعية أن تتخذ السنة النبوية محل التعظيم والتبجيل في نفسه بالانقياد له والخضوع والتسليم والتلقي بالسمع والطاعة، فلا يتجرأ أبدا معارضتها أو ردها بعقل أو وجد أو ذوق أو غيرها.

ج. حكم إنكار السنة.

³⁷ القرآن الكريم، الأحزاب: 36

³⁸ السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 32.

³⁹ الشافعي، الرسالة، ص 447.

⁴⁰ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم (بيروت: دار طوق النجاة، 1433). ص

33.

⁴¹ البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، م 5، ص 2088.

إنكار السنة النبوية أمر خطير لا شك فيه، إذ أن فاعلها قد أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة في كونها أحد الأصول الأساسية في هذا الدين الحنيف، بحيث لا يمكن أخذ أحدهما دون الآخر، لكونهما متلازمين، ولهذا كان الحافظ السيوطي يحكم على من أنكر السنة بالشدة، فيقول: "فاعلموا -رحمكم الله- أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحُشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة"، ثم عقب هذا بقصة الإمام الشافعي لما روى يوماً حديثنا وقال "إنه صحيح" فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟، فاضطرب وقال: "يا هذا أرأيتي نصرانيا؟ أرأيتي خارجاً من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زناراً؟ أروي حديثاً عن رسول الله ﷺ ولا أقول به؟".⁴² فحكم الشافعي بأن منكر السنة حكمه خارج عن الملة، وشبهه بالنصراني. فلينبه كل مسلم أن يكون من جملة منكري السنة، أو أن يطرأ في قلبه شيء من ذلك، وليبادر بالتوبة والرجوع إلى جادة الصواب قبل أن تأتيه عواقب وخيمة من الخسران في الدنيا والآخرة.

وينبغي التنبيه أن الحكم الذي حكم به الحافظ السيوطي هو الحكم المطلق على من أنكر حجة السنة أصلاً، ولم يعتبرها شيئاً من مصدر التشريع، والحكم المطلق لا يحكم به الأعيان إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع. أما من أنكرها جزئياً لشبهة أو تأويل أو غيرها فلا يُحكم عليه بالكفر كحال أصحاب الفرق والتيارات الإسلامية، إلا إذا تحققت في حقه شروط التكفير وانتفت الموانع. ولكن يجب التنبيه أيضاً أن إنكار السنة قليلها وكثيرها من المهالك التي توقع صاحبها في الخطر العظيم لرده النصوص الشرعية في وجوب الاحتجاج بالسنة وجعلها مصدراً للتشريع الإسلامي، والله أعلم.

د. نشأة مذهب إنكار السنة.

تكلم الحافظ السيوطي عن نشأة مذهب إنكار السنة بكلام مختصر، ودكّر بأن أصل نشأة مذهبهم أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على الاحتجاج بالقرآن، منهم من كان يعتقد أن النبوة لعلي وأن جبريل عليه السلام أخطأ في إنزاله إلى محمد ﷺ، ومنهم من أقر بنبوة النبي ﷺ ولكنهم رأوا أن الخلافة بعده حقاً لعلي بن أبي طالب، فلما عدل الصحابة إلى أبي بكر وعدلوا عن علي، كفروا هؤلاء الصحابة لكونهم أعطوا الحق لغير مستحقه، وكفروا علياً أيضاً لأنه ما طلب حقه من الخلافة. فردوا بذلك الأحاديث كلها لكون رواتها كفاراً -على حد زعمهم-.⁴³ فبدور إنكار السنة تظهر من قديم الزمان، بل ظهرت في القرن الأول في عهد الصحابة.

⁴² السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 6.

⁴³ السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 6.

وقد أخبر النبي ﷺ عن ظهور هذا المذهب في حديث المِقْدَام بن معدي كرب عن النبي ﷺ أنه قَالَ: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شعبان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطه معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها" الحديث⁴⁴. وصدق النبي ﷺ فيما أخبر به. ومما يدل على ظهوره في زمن الصحابة ما رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله بإسناده عن عمران بن حصين: أنه قال لرجل: إنك امرؤ أحمق أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً، لا تجهر فيها بالقراءة، ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسراً، إن كتاب الله أجم هذا وإن السنة تفسر ذلك"⁴⁵.

وبداية ظهور مذهب إنكار السنة كانت في العراق، ولم يمثلوا فرقة أو اتجاهها، بل هي حالات فردية من الذين لم يلفت انتباههم إلى السنة كالمصدر التشريعي للدين، ثم زاد عددهم مع مرور الأيام، إلى أن ظهرت ونشأت فرق الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، وكل من هذه الفرق يمثلون إنكار السنة النبوية. فالشيعة ردوا الأحاديث الكثيرة التي تروى عن الصحابة إلا إذا رويت عن طريق رجالهم وأئمتهم، ووضعوا أحاديث كثيرة فيما يؤيد مذهبهم. وأما الخوارج فحقيقة مذهبهم اعتبار السنة النبوية كالمصدر الأساسي للتشريع، ولكن بعد وقوع الفتنة بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- أصبحوا يكفرون جمهور الصحابة الذين شاركوا في الفتنة ورضوا بالتحكيم أو صوّبوا، وردوا مروياتهم لأجل كفرهم وسقوط عدالتهم. وأما المعتزلة فأسقطوا عدالة الصحابة وأسأوا الأدب معهم، وأنكروا حجية أحاديث الآحاد إلا إذا رواها أربعة عن أربعة، وحكموا العقل على الحديث، فقبلوا ما وافق العقل وإن كان ضعيفاً، وردوا ما خالف العقل وإن كان صحيحاً، وردوا الأحاديث التي تخالف أصولهم الخمسة، وبهذا فقد أنكروا وردوا أكثر الأحاديث النبوية⁴⁶. فتعتبر هذه الفرق الثلاثة هي الأصول في فكرة إنكار السنة النبوية جزئياً وليس كلياً لمقاصد خاصة بناء على مذهبهم الفاسد. إنَّ عددًا من الفرق السابقة التي عُرفت بإنكار الاحتجاج بالسنة قد تلاشى عبر العصور، إلا أن آثارها الفكرية لم تزل ممتدة، وخصوصاً النزعة التي تقدّم العقل على الحديث، كما هو ظاهر في بعض الاتجاهات الكلامية. فظهرت في العصر الحديث حركة الاستشراق بوجود جماعة من علماء الغرب الذين تعلموا علوم

⁴⁴ السجستاني، سنن أبي داود، المجلد: 4، ص 6.

⁴⁵ يوسف ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، المجلد: 2 (السعودية: دار ابن الجوزي، 1994). ص 1192.

⁴⁶ عبد الماجد الغوري، إنكار السنة تاريخه وفرقه ودوافعه، الطبعة: 1 (مليزيا: معهد دراسات الحديث الشريف-الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور، 2017)، ص 49-62.

الشرق وآدابها ولغاتها وتاريخها، فهؤلاء المستشرقون أثاروا الشبهات في التشكيك والاستخفاف بالسنة النبوية، ومن بين شبههم أن القسم الأكبر من الأحاديث هي نتاج التطور الديني والسياسي والاجتماعي في القرنين الأول والثاني من الهجرة، وأردفوها بالأدلة الضئيلة. وظهرت أيضا الحركة العصرانية التي تعنى بتطويع مبادئ لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، وإخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شؤون الحياة، وأشهر صاحب هذه الحركة السيد أحمد خان (ت. 1315هـ) وأتباعه في الهند، وكان شديد الإعجاب بنهضة الغرب في مجال العلم، وكان ينكر الأحاديث النبوية الصحيحة التي خالفت عقله، وقبل ما شاء منها، ورفض ما شاء منها، ويستهزئ بالمحدثين وبالشعائر الإسلامية، وأول النصوص التي لم توافق عقله وطبيعته تأويلا لا تتحملها اللغة العربية وقواعدها، فأنكر المعجزات والجنة والنار إلى غير ذلك من الأفكار الفاسدة.⁴⁷ ويمكن أن نقول بأن هذه الفكرة الحديثة استمداد لفكرة المعتزلة في تقديس العقل وجعلها معيارا للصحة والفساد وللقبول والرد.

هـ. الرد الإجمالي على منكري السنة.

إنكار السنة النبوية جزئيا أو كليا مناقضة ومخالفة لكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في وجوب طاعة الرسول ﷺ وتحكيمه واتباعه، بل أن الله ﷻ قرن طاعة الرسول ﷺ بطاعته، وأن من عصى الرسول فقد عصى الله، وأيضا فإن الله ﷻ قد حذر من مخالفة الرسول ﷺ ورتب على ذلك العذاب الشديد -وقد تقدم ذكر بعض هذه الأدلة في المباحث السابقة-. فكل هذه الإشارات تقطع يقينا بأن كلا من القرآن والسنة حجة في هذا الدين، وهما متلازمان، يحتاج كل واحد منهما إلى الآخر -كما سبق في مكانة السنة النبوية.

وإشارة إلى المعنى السابق أورد الحافظ السيوطي -رحمه الله- قصة عمران بن حصين مع منكر السنة: فيما أخرجه البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة المكي: "أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد، إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن، فغضب عمران وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً والغداة ركعتين والظهر أربعاً والعصر أربعاً؟ قال: لا: قال: فعمن أخذتم ذلك، أستمعنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟ أوجدتم فيه من كل أربعين شاة شاة وفي كل كذا بعيرا كذا وفي كل كذا درهما كذا. قال: لا. قال فعمن أخذتم ذلك؟ أستمعنا أخذتموه وأخذناه عن النبي ﷺ؟ وقال: أوجدتم في القرآن: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾

⁴⁷ الغوري، إنكار السنة تاريخه وفرقه ودوافعه، ص 72-75.

بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ⁴⁸ أوجدتم فيه فطوفوا سبعا واركعوا ركعتين خلف المقام، أو وجدتم في القرآن: لا جلب ولا جنب ولا شغار في الإسلام؟ أما سمعتم الله قال في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁴⁹ قال عمران: فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم".⁵⁰ فالقرآن والسنة النبوية كلاهما وحي من الله ﷻ، يكمل أحدهما الآخر، فلا يمكن للمسلم أن يؤدي فرائض دينه على الوجه المطلوب إلا إذا أخذ السنة بجانب القرآن في الاحتجاج والاستناد، ومن اكتفى على أحدهما دون الآخر فقد ضل.

د. الرد التفصيلي على منكري السنة.

هذا المبحث فيه ذكر بعض شبهات منكري السنة قديما وحديثا مع الجواب عليها مسترشدا عما ذكره السيوطي في كتابه "مفتاح الجنة" من آيات وأحاديث وآثار، وفي الحقيقة أن الكلام في الردود هو من ضمن الكلام في الإثبات، إذ أن من أثبت حجية السنة قد رد -في الوقت نفسه- على من أنكراها، ولهذا فإن ما سيذكر في هذا المبحث هو عبارة عن التكملة لما قد سطر سابقا في بيان إثبات حجية السنة النبوية. الشبهة الأولى: أن القرآن قد جاء تبيانا لكل شيء كما ورد ذلك في الآية القرآنية، فإذا كان كذلك فلا حاجة في الاحتجاج بالسنة لأن القرآن قد حوى كل شيء.⁵¹ والجواب على ذلك ما يلي: إن القرآن الكريم قد حوى وشمل أصول الدين والقواعد العامة للأحكام، وصرح على بعضها، وأجمل في بعضها الآخر وترك بيانها وتفصيلها للنبي ﷺ، وقد أرسل الله ﷻ رسوله لِيُبَيِّنَ للناس أحكام دينهم، وأوجب عليهم اتباعه ورد ما تنازعوا إليه، وحرّم عليهم عصيان أمره، كما تقدمت الأدلة على ذلك -وقد ذكر الحافظ السيوطي الأدلة على ذلك بكثرة-، فكان بيانه ﷻ للأحكام الشرعية بيانا لما ورد في القرآن، فكان حكما من أحكام القرآن، فلا تعارض بين حُجِّيَّةِ السُّنَّةِ وبين أن القرآن جاء تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ.

الشبهة الثانية: إذا جاءت السنة بأحكام جديدة - كما تقدمت في وجوه السنة مع القرآن - كان ذلك معارضة من ظني الثبوت - وهي السنة - لقطعيه - وهو القرآن - وهذا لا يجوز.⁵² والجواب على ذلك ما يلي: أولا: أن الله ﷻ أمر باتباع رسوله ﷺ، ولا يمكن تحقق ذلك إلا عن طريق السنة. ثانيا: أنه لا بد من الاحتجاج بالسنة لمعرفة أحكام القرآن نفسه، كقضية الناسخ والمنسوخ فإنه لا تعرف إلا عن طريق السنة.

⁴⁸ القرآن الكريم، الحج: 29.

⁴⁹ القرآن الكريم، الحشر: 7.

⁵⁰ السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 10.

⁵¹ السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 174.

⁵² السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 174.

ثالثا: أن ثمة أحكاما قال بها الجميع -ومن ضمنهم منكرو حجية السنة- ولا سبيل لمعرفة إلا عن طريق السنة، كما سبق ذكره في قضية عدد ركعات الصلاة وأنصبة الزكاة ومناسك الحج في مبحث الرد الإجمالي على منكري السنة. رابعا: أن القرآن نفسه قد أتى بتخصيص القطعي بظني، مثل ما جاء فيه على قبول الشهادة باثنين على القتل والمال، وحرمة الدم والمال مقطوع فيهما، والشهادة باثنين ظنية. خامسا: أن جهابذة المحدثين قد قاموا بأعمال جبارة في التأكد من صحة نسبة السنة إلى النبي ﷺ - كما لا يخفى على الجميع-، فيكون احتمال الخطأ فيها أقل بكثير مما في الشهادة، أو كاد أن يكون معدوما.⁵³

الشبهة الثالثة: القول بوجوب عرض السنة على القرآن، فإن وافقته قبلت، وإلا فلا، واستدلوا على ذلك بما روي أن النبي قال: "ما جاءكم عني فأعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته وما خالفه فلم أقله"، وقد روي بعدة ألفاظ. الجواب على ذلك: إن هذا الحديث لم يثبت، وقد نقل السيوطي عن الشافعي بأنها رواية منقطعة عن رجل مجهول، وقال البيهقي أنها رويت من عدة أوجه كلها ضعيفة، لا يحتج بها، وقد أطل السيوطي في بيان عدم قبول هذه الروايات من كلام أئمة هذا الشأن. وعلى كل حال فإن السنة الصحيحة ليست منافرة للقرآن، بل تكون معاضدة له وإن لم يكن فيه نص صريح بلفظها فإن النبي ﷺ يفهم من القرآن مالا يفهمه غيره لأجل توضيح ما ورد فيه بإرشاد من الله ﷻ.⁵⁴ فالقرآن والسنة أتتا من منبئ واحد فلا يمكن أن يتعارضا ولا يتنافرا بل تكونا متعاضدين.

وثمة شبهات كثيرة في هذا المضمار إلا أن الجواب عليها ما قد سبق، وملخص ذلك، أولا: أن الله قد أمر باتباع نبيه ﷺ في آيات وأحاديث كثيرة، فاتباع السنة اتباع لما فرضه الله ﷻ، كما أن طاعة النبي ﷺ طاعة لله ﷻ. وثانيا: أن هذا سبيل المؤمنين الذين قد رضي الله ورسوله عنهم، وأمرنا الله ورسوله باتباع سبيلهم، وهانا عن مخالفتهم، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.⁵⁵ قال الشافعي في التأكيد على هذا المعنى: "ولا أعلم من الصحابة ولا التابعين أحدا أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره وانتهى إليه وأثبت ذلك سنة..."⁵⁶ وقد أورد السيوطي شواهد هذا المعنى بكثرة من مواقف الصحابة والتابعين ومن بعدهم في شدة تمسكهم بما جاء عن النبي ﷺ. ثالثا: أن أحكام القرآن لم

⁵³ السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 174.

⁵⁴ السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 27.

⁵⁵ القرآن الكريم، التوبة: 100

⁵⁶ السيوطي، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص 34.

يتحقق فهمها فهما صحيحا إلا بالسنة، وذلك لأن السنة قامت مقام البيان من القرآن، فالناسخ والمنسوخ، وكذلك أسباب النزول لم ترد إلا عن طريق السنة، فمن أراد أن يأتّم بما أمره الله فليتمسك بسنة رسول الله ﷺ، فإنه سبيل النجاة.

الخاتمة

الحافظ السيوطي - رحمه الله - فذ من أفاض العلماء المتأخرين الذين لهم جهود مشكورة في شتى مجالات العلم والمعرفة، ومنها جهوده في إثبات حجية السنة النبوية والرد على منكريها من خلال مؤلفات القيمة الكثيرة التي من بينها كتابه القيم "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة". لقد أبدع - رحمه الله - وأجاد في تأليف هذا الكتاب ففصل فيه وأبان حجية السنة النبوية وحاول إثباتها من جوانب عدة مستدلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء التي توضح المراد، من تلك الجوانب: اقتران وجوب طاعة الرسول ﷺ بطاعة الله مما دل على أن طاعته من لوازم طاعة الله، والتحذير الشديد من مخالفة أمر الرسول ﷺ، ووجوب تعظيم سنته المطهرة والعواقب الوخيمة على من عارضها. وبين السيوطي بأن من أنكر حجية السنة فقد أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة التي قد تؤدي صاحبه إلى الكفر.

وأوضح الحافظ السيوطي - رحمه الله - بأن أصل نشأة مذهب إنكار السنة أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاعتصار على الاحتجاج بالقرآن تقوية وتأييدا لما عليهم من الأباطيل، ثم سار الفرق على منوالهم، فمنهم من أنكر السنة إنكارا كلياً ومنهم من أكرها جزئياً، وكل منهم قد خالفوا النصوص الصريح الكثيرة الواردة في وجوب اتباع الرسول ﷺ وتحكيم الأمر إليه والتحذير من مخالفته. وقد أوردوا شبهات كثيرة حول هذا الموضوع لغرض وسوسة الناس وإعراضهم عن السنة، ولكن الله ﷻ قد حفظ سنة نبيه ﷺ كما حفظ كتابه، فخلق أناساً من الجهابذة ينفون عن دينه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وشبهاتهم، والله الحمد والمنة.

ويمكن تلخيص أهم الشبهات التي أوردها منكرو السنة، مع أجوبتها، فيما يلي:

1. أنهم زعموا أن القرآن قد جاء تبيانياً لكل شيء، فلا حاجة إلى السنة في التشريع، والجواب أن القرآن إنما جاء بأصول الأحكام وقواعدها العامة، وترك بيان كثير من تفصيلاتها للسنة، وقد جعل الله ﷻ مبيّناً لكتابه، فكان بيانه جزءاً من التشريع لا خارجاً عنه.
2. وزعموا أن ما جاءت به السنة من أحكام زائدة يُعد معارضةً للقرآن، لكونها ظنية الثبوت، والجواب أن السنة إنما هي وحي من عند الله، وقد أمر باتباعها، ولا يمكن فهم كثير من أحكام القرآن إلا بها، كما أن العمل جرى عند الأمة على قبولها والاحتجاج بها في التشريع.

واستدلوا بحديث عرض السنة على القرآن، فما وافقه قُبِلَ وما خالفه رُدَّ، والجواب أن هذا الحديث لا يصح، وقد بين الأئمة ضعفه، ثم إن السنة الصحيحة لا يمكن أن تخالف القرآن أصلاً، بل هي شارحة له ومبيّنة لمعانيه.

فالحاصل أن جميع هذه الشبهات ترجع في حقيقتها إلى إهمال وظيفة السنة في البيان والتشريع، مع أن النصوص القطعية من الكتاب والسنة قد دلت على وجوب اتباع النبي ﷺ، وتحكيم سنته، وأنها وحي من عند الله، لا ينفك عن القرآن بل يكمله ويبينه.

فهرس المصادر

- Al-Qur'anul Karim
Buku
Ad-Durr al-Mantsur fi at-Tafsir bi al-Ma'tsur. Cet. 1. Jil. 1. Kairo: Markaz Hajar lil-Buhuts wa ad-Dirasat al-'Arabiyyah wa al-Islamiyyah, 2003.
Miftah al-Jannah fi al-Ihtijaj bi as-Sunnah. Cet. 3. Pakistan: Dar al-Kitab wa as-Sunnah, 2016.
Ad-Duqij, Thariq 'Athiyyah. "Ad-Difa' 'anis Sunnati fi Zillit Tayyaratil Fikriyyatil Mu'asirah". *Majallatul 'Ulumil Insaniyyati wat Tatbiqiyyah*, nomor 1 (2016).
Al-Baihaqi, Abu Bakar. *Al-Madkhal ila 'Ilm as-Sunan*. Cet. 1. Kairo: Dar al-Yusr li an-Nasyr wa at-Tauzi', 2017.
Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin al-Mughirah Ibn Bardazbah. *Al-Jami' al-Musnad ash-Shahih al-Mukhtashar min Umuri Rasulillah wa Sunanihi wa Ayyamihi*. Jil. 5. Beirut: Dar Thauq an-Najah, 1422 H.
Al-Ghuri, Abdul Majid. *Inkar as-Sunnah Tarikhuhu wa Firaquhu wa Dawafi'uhu*. Cet. 1. Malaysia: Ma'had Dirasat al-Hadits asy-Syarif-al-Kulliyah al-Jami'iyah al-Islamiyyah al-'Alamiyyah bi Salangor, 2017.
An-Naisaburi, Abu al-Husain Muslim bin al-Hajjaj bin Muslim al-Qusyairi. *Shahih Muslim*. Beirut: Dar Thauq an-Najah, 1433 H.
As-Sakhawi, Muhammad. *Adh-Dhau' al-Lami' li Ahli al-Qarn at-Tasi'*. Jil. 4. Beirut: Dar Maktabah al-Hayah, 1992.
As-Siba'i, Mustafa. *As-Sunnah wa Makanatuha fi at-Tasyri' al-Islami*. Cet. 1. Al-Maktab al-Islami-Dar al-Warraq li an-Nasyr wa at-Tauzi', 2000.
As-Sijistani, Abu Dawud. *Sunan Abi Dawud*. Jil. 2. Suriah: Dar ar-Risalah al-'Alamiyyah, 2009.
As-Suyuthi, Abdurrahman. *At-Tahadduts bi Ni'matillah*. Cet. 1. Kairo: Al-Mathba'ah al-'Arabiyyah al-Haditsah, 1973.
Asy-Syafi'i, Muhammad. *Ar-Risalah*. Mesir: Mustafa al-Babi al-Halabi wa Auladuh, 1938.
Asy-Syathibi, Ibrahim. *Al-I'tisham*. Cet. 1. Jil. 1. Kerajaan Arab Saudi: Dar Ibnu al-Jauzi li an-Nasyr wa at-Tauzi', 2008.
Asy-Syaukani, Muhammad. *Al-Badr ath-Thali' bi Mahasin man Ba'da al-Qarn as-Sabi'*. Jil. 1. Beirut: Dar al-Ma'rifah, t.t.

- Ath-Thahhan, Mahmud. *Taisir Musthalah al-Hadits*. Riyadh: Maktabah al-Ma'arif li an-Nasyr wa at-Tauzi', 2004.
- Bintu 'Abdillah, 'Asimah. "Al-Imamus Suyuti wa 'Inayatuhu fi 'Ilmil Hadis". *Kulliyatu Dirasatil Qur'ani was Sunnati bi Jami'atil 'Ulumil Islamiyyah*, 2004.
- Edi, Relit Nur. "As-Sunnah (Hadits): Suatu Kajian Aliran Ingkar Sunnah." *Asas (Jurnal Ekonomi Syari'ah)* 6, nomor 2 (2014).
- Haji Khalifah, Mustafa. *Sullam al-Wushul ila Thabaqat al-Fuhul*. Jil. 2. Istanbul: Maktabah Irsika, 2010.
- Husain, Hammam. "Jalal ad-Din as-Suyuti wa Syarhuhu li Alfiiyyati Ibni Malik." *Jurnal Fakultas Sastra Qina* 53, nomor 1 (2021).
- Ibnu Abdil Barr, Yusuf. *Jami' Bayan al-'Ilmi wa Fadhlih*. Jil. 2. Saudi Arabia: Dar Ibnu al-Jauzi, 1994.
- Ibnu al-'Imad, Abdul Hayy. *Syadzarat adz-Dzahab fi Akhbar man Dzahab*. Cet. 1. Jil. 10. Damaskus–Beirut: Dar Ibnu Katsir, 1986.
- Ibnu Manshur, Sa'id. *Sunan Sa'id bin Manshur*. Cet. 1. Riyadh: Dar al-Alukah li an-Nasyr, 2012.
- Ibrahim, Andi, Asrul Haq, Madi, Baharuddin, Muhammad Aswar Ahmad, dan Darmawati. *Metodologi Penelitian*. Makassar: Gunadarma Ilmu, 2018.
- Ibrahim, Hasyim Ismail. "Asy-Syubuhatul Musaratu Hawlas Sunnatin Nabawiyyah (Al-Qur'aniyyuna Unmuzajan)". *Majallatul Bahisi lil 'Ulumil Islamiyyati* 1, nomor 1 (2021).
- Qufi, Hamid. "Difa' 'an Sahihil Bukhari Difa' 'an is-Sunnatil Musyarrafah". *Majallatul 'Ulumil Islamiyyati wal Hadarah* 8, nomor 1 (2023).
- Salim, 'Abbasi. *Al-Adillatul 'Aqliyyatu wa Ahammiyyatuha fid Difa'i 'anis Sunnatin Nabawiyyah Madrasatul Kufati Unmuzajan*. Al-Jaza'ir: Fakultas Ilmu Humaniora, Sosial, dan Ilmu-Ilmu Islam Universitas Ahmad Dirayah, 2022.
- Tuffahi, Samirah. "Asarul Imamis Suyuti fi 'Ulumil Hadis Tadribur Rawi Unmuzajan". *Qismu Usulid Din - Jami'atusy Syahid Hammah Lakhdar – Al-Wadi -*, 2016.